The Manifestations of the Sublime in the poetry of Nadim Muhammad

Lynn Ghadeer Hassan***
Dr. Zakwan Juma Al Abdo*
Dr. Yasser Abdel Rahim**

(Received 15 / 5 / 2025. Accepted 10 / 7 / 2025)

□ ABSTRACT □

In the poetry of Nadim Mohammad, the figure of the" glorious hero" arises from a pressing social need for revolutionary change, rejecting the ugliness conquest imposed on the social structure. This hero seeks to create a reality free from submission and alienation, harmonizing with the highest ideals rooted in freedom, social justice, and the pursuit of a beautiful life. Yet, this aspiration cannot be realized without the presence of a revolutionary hero, whose human mission and transcendent self strives to liberate reality from its ugliness. There is no doupt that this hero does not rise as an isolated individual, but rather as a model united with the collective masses aspiring for liberation. He represents a model of the highest human values integrally connected to the sociopolitical reality.

Thus we come to understand that the concept of "the glorious" in Nadim Mohammeds poetry is inseparable from the suffering of the complete human being, shaped by the conditions of social and political alienation.

The Study followed a textual analysis approach, benefiting from the procedures of aesthetic criticism in approaching the text to arrive at a comprehensive aesthetic vision in its cognitive revelations. The research then examined the concept of the sublime addressing the notions of the marvelous, the lofty, and the heroic in the poetry of Nadim Muhammed. It also explored the relationship between these values Among the key findings of the study is that revolution represents a social and aesthetic model that eliminates ugliness and generates beauty. It is an act of social change and a defense of values stemming from an awareness of social need.

Keywords: Sublime, Wonderful, Lofty, Heroism.

Copyright **:**Latakia University journal (formerly tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

*** **PhD student, Department of Arabic Language, Latakia University(formerly tishreen) , Syria.**
* **Assistant Professor, Department of Arabic Language, University of Aleppo, Syria.**
** **Professor, Department of Arabic Language, University of Aleppo, Syria.**

تجليات الجليل في شعر نديم محمد

لين غدير حسن* **

د. زكوان جمعة العبدو*

د. ياسر عبد الرحيم**

(تاريخ الإيداع 15 / 5 / 2025. قبل للنشر في 10 / 7 / 2025)

ملخّص

ينهض الجليل في شعر نديم محمد من الحاجة الاجتماعيّة إلى التّغيير الثّوري، ونفي القبح المهيمن على البنية الاجتماعيّة، من أجل إنتاج واقع لا استلاب فيه، يتلاءم مع المثل الأعلى المنشود الذّي يقوم على الحرية الاجتماعيّة والعدالة لتحقيق الحياة الجميلة، وهذه الرّغبة لا تتحقق إلّا على يد البطل الثّوري الذّي يتوجه بجلاله وسماته الإنسانيّة وذاته المتعالية إلى أن يخلّص الواقع من قبحه، ولا ريب في أنّ هذا لا ينهض من كون البطل فرداً منعزلاً، بل من كونه أنموذجاً لاتحاد ذاته مع الجماعة الطّامحة إلى التّحرر، ومن كونه مثلاً أعلى للقيم الإنسانيّة التّي يفتقدها الواقع الاجتماعيّ في ظروف الاستلاب الاجتماعيّ والسّياسي. وبهذا ندرك أنّ الجليل ليس مستقلاً عن معاناة الإنسان الشّاملة.

وقد اتبّع البحث منهج التّحليل النّصيّ، مستفيداً من إجراءات النّقد الجماليّ في مقاربة النّص للوصول إلى رؤية جماليّة متكاملة في كشوفاتها المعرفيّة، فدرس مفهوم الجليل، وتناول الرّائع والسّامي والبطوليّ في شعر نديم محمد، وعرض العلاقة بين هذه القيم، وخرج بنتائج من أهمها أنّ الثّورة مثل أعلى اجتماعيّ، وجماليّ يقضي على القبح، وينتج الجمال، إنّها فعل للتّغيير الاجتماعيّ، والدّفاع عن القيم من منطلق وعيّ الحاجة الاجتماعيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الجليل، الرّائع، السّامي، البطوليّ.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً)- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*** **طالبة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة_ جامعة اللاذقية**(تشرين سابقاً)**_ سوريا.**

* **أستاذ مساعد، قسم اللّغة العربيّة_ جامعة حلب_ سوريا.**

** **أستاذ، قسم اللّغة العربيّة_ جامعة حلب_ سوريا.**

مقدمة:

إنّ الجليل مفهوم جماليّ مرتبط بقوى عظيمة تكاد تكون غير محدودة، تجسدّ لا نهائيّة العالم وخلوده، ويكشف عن طموح الإنسان إلى الحرية والسّلم والعدالة، وغيرها من القيم الإنسانيّة التّي تحقق جوهره الإنسانيّ؛ إذ لا نستطيع من دون وعيّ هذا المفهوم أن نجسدّ في الفنّ عظمة الإنسان، وبطولته في صراعه ضد قوى الاستلاب.

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي **أهمية البحث وأهدافه** من كونه يتناول مفهوم الجليل في شعر نديم محمد، فأعمال الشّاعر لم تلقَ الاهتمام الذّي يكافئ أهميتها وعمقها، ولم تنل حظاً وافراً من الدّراسات النّقدية، مع غياب تامّ لدراسة ملامحها الجماليّة.

أمّا **منهج البحث** فقد اعتمد على إجراءات النّقد الجماليّ في مقاربة النّص للوصول إلى رؤية جماليّة متكاملة في كشوفاتها المعرفيّة.

الجليل:

تتعدد ألفاظ القيمة الجماليّة، وتختلف تبعا لدلالاتها على القيمة أو درجتها أو نوعها والشّعور الذّي يبعثه في أنفسنا تأمل الموضوع. فالجميل يدلّ على الأشياء التّي تشعرنا بالمتعة عند تأملها وإدراكها، إلا أنّ هناك نقصاً واضحاً وعشوائيّة في إطلاقنا لفظ الجميل على الموضوعات، فليست كلّ الموضوعات جميلة، فهناك موضوعات تثير فينا مشاعر الرّهبة يمكن أن نقول عنها جليلة، والجلال هو" العظمة، والكبرياء، والمجد، والسناء، والبهاء، والجليل هو المتصف بالجلال."[1]

لكن هذا الانتباه يثير قضية إشكاليّة تكمن في تحديد طبيعة العلاقة بين الجميل والجليل التّي شهدها تاريخ التّفكير الجماليّ. وقد تجلّى هذا من خلال موقفين:

الموقف الأول: ينطلق من المقابلة الكاملة بين الجليل والجميل.

والموقف الثّاني: يقرّب بين الجليل والجميل فيستخلص أحدهما من الآخر، مع إقراره بالاختلاف بينهما. [2]

أمّا الموقف الأول فنراه عند إدموند بيرك الذّي رأى أنّ الجليل والجميل "فكرتان بطبيعتين مختلفتين جدا، فالأولى تقوم على الألم، بينما تقوم الثّانية على اللّذة أو المتعة، ومهما تغيرا بعد ذلك حسب علتيهما، فإنّ علتيهما تدفعان باستمرار نحو تأكيد الفارق بينهما، فارق يجب ألا يُغفل دوره في إطار إثارة العواطف"[3]، وحجة بيرك أنّ "الموضوعات الجليلة ذات أبعاد كبرى، بينما الموضوعات الجميلة هي صغيرة نسبيّاً؛ الجمال يجب أن يكون ناعماً مشعاً، بينما العظيم ضخم مشدود." [4]

وينشأ إحساس الجليل "حين يصطدم الإنسان بقوى هائلة تتسم بالهول لأنّ الإنسان لم يتملكها تملكاً تامّاً بعد، ولم يخضعها لإرادته فيتصرف بها بحرية فيواجهها باعتزاز. ولا ينشأ هذا الاعتزاز عند الإنسان بنتيجة إيمانه بقوى غيبية،

---

[1] صليبا، جورج: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ط، 1982، ص404.

[2] المرعي، د. فؤاد: الجمال والجلال دراسة في المقولات الجماليّة، دار طلاس، دمشق، ط1، 1991، ص117.

[3] نوكس، إ: النّظريات الجماليّة (كانط_ هيجل_ شوبنهاور)، عرّبه وقدم لـه: د. محمد شفيق شيا، منشورات بحسون الثّقافية، بيروت، ط1، 1985، ص79.

[4] نوكس، إ: النّظريات الجماليّة (كانط_ هيجل_ شوبنهاور)، ص79.

بل ينشأ على أساس القناعة الداخليّة بأنّه مالك الطّبيعة وسيدها." [5] فالجليل بهذا المعنى هو ذلك الموضوع الذّي لا نستطيع إدراكه كليّاً؛ إذ يحتاج جهداً عقلياً ليس عادياً لإدراكه وتملّكه، وهذا ما نراه عندما نتأمل جبلاً شاهقاً فنشعر أنّ ذاتنا تتعالى إلى حالة خاصة من المعرفة إلى أن تتلاشى أمام رهبة هذا الموضوع. وهذا ما أكدّه شوبنهاور الذّي رأى أنّ "الذّات في إدراكها للموضوع الجميل تكون في حالة هدوء، في حين أنّها لا تبلغ هذه الحالة في تأملها للجليل إلا بعد مقاومة وصراع عنيف؛ لأنّ هذا الموضوع يخلق لدينا حالة من التّهديد أو الاستثارة." [6] وهنا يتجلى الفرق بين الشّعور بالجميل والشعور بالجليل على أساس أنّ الأول يقوم على التأمل الهادئ، بينما الآخر مؤسس على الصّراع بين الذّات والموضوع الذي ينتهي بمشاعر تعظيم وسمو.

أمّا الموقف الثّاني فنراه عند سانتيانا الذّي حدّد الجليل بأنّه "أقصى درجات الجمال التّي يوجد فيها الجمال نشوة في النفس." [7]

وما ينبغي الإشارة إليه أنّ تلقي الذّات للموضوع الجليل يخلق فيها أحاسيس الرّهبة تجاه هذا الموضوع، وليس أحاسيس الرّعب والخوف والخطر؛ إذ تشعر الذّات أنّها ضئيلة أمام مثل جماليّ شديد العظمة والهيبة، وليست أمام موضوع يثير فيها النّفور، وهذا ما ذهب إليه بعض علماء الجمال في تأكيدهم أنّ تجربة الجلال ليست تجربة رعب "فهذه التّجربة لو كانت تجربة رعب فحسب لما كانت أستطيقية؛ إذ إنّ من يمر بهذه التّجربة سيطغى عليه عندئذ الاهتمام بسلامته الشّخصية، وتتجه رغبته إلى القيام بسلوك عمليّ." [8]

إنّ إصرار الإنسان على تأكيد ذاته وحريته يعطي الجليل قيمة اجتماعيّة عظيمة، ترتبط بنشاط الإنسان في العالم، وسعيه إلى إدراك قيمة ذاته، ووجودها الفاعل في المجتمع وبذلك يكون الجليل "هو الظّاهرة التّي تدفع بعجلة التّقدم الاجتماعيّ إلى الأمام، وتخلص المجتمع البشريّ من قوى الاستلاب الاقتصاديّ، والقمع السّياسيّ." [9]

يتضح من هذا الكلام أنّ للجليل علاقة بالقبيح ربما تكون علاقة عكسيّة، مما يعني أنّ بوجود الجليل يزول القبح ويتلاشى، فالحديث عن الجليل هو حديث عن انعدام القبح، وتحرر من أشكال الاستغلال والتّفاهة "فالمقولة السلبيّة التّي تقابل الجلال والرّوعة هي التّفاهة أو الدّناءة." [10] بهذا فإنّ الجليل قيمة تسمو على ما هو قبيح وتافه، وذات ارتباط عميق بالحرية من كلّ ما يقيّد الإنسان، ويسلبه ذاته في الإبداع.

ونتساءل كيف تنعكس قيمة الجليل في الشّعر؟

ينبع الجلال من تعبير الشّاعر عن قضايا مجتمعه، والثّورة على وجوه القبح والشّر، والاستغلال في صور يمكن من خلالها فهم طموح الإنسان الذّي يتغلب على الاستلاب "فهذه الظّواهر والأحداث العظيمة والجليلة حقاً هي تلك التّي تدفع المجتمع البشريّ نحو التّطور العاصف وتحمل له التّقدم والسّعادة." [11]

---

[5] المرعي، د. فؤاد: الجمال والجلال دراسة في المقولات الجماليّة، ص123

[6] توفيق، محمد سعيد: ميتافيزيقيا الفن عند شوبنهاور، دار التنوير، بيروت، ط1، 1983، ص164.

[7] سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د. ط، 2010، ص259

[8] ستولينتز، جيروم: النّقد الفنيّ دراسة جماليّة فلسفيّة، ص402. وينظر: سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال، ص255.

[9] كليب، د. سعد الدين: القيم الجماليّة في الشعر العربي الحديث1950_1975، دكتوراه، جامعة حلب، ص123.

[10] بلوز، د. نايف: علم الجمال، ص101

[11] المرعي، د. فؤاد: الجمال والجلال دراسة في المقولات الجماليّة، ص124.

فالحدث الجليل بهذا المعنى هو الذّي يحقق حرية الإنسان، وتقدمه الإنسانيّ والاجتماعيّ بإرادته وتحديه قوى الاستلاب، فيغدو بذلك الإنسان المثل البطوليّ الأعلى، ومن هنا تنشأ العلاقة بين الجليل والبطوليّ، لكن ما ينبغي ذكره أنّ "الجلال أرقى درجة من البطوليّة التّي لا تتحوّل إلى جلال إلّا في حالة احتيازها على موضوع بطوليّتها؛ بمعنى أنّ الشّخصية البطوليّة لا تغدو شخصية جليلة إلّا حين تنتصر انتصاراً هائلاً على الموضوع الذّي أوجب بطوليّتها؛ أيّ على القبح الاجتماعيّ الذّي تكافحه تلك الشّخصية." [12]

ونتساءل هنا: كيف تجلّى الجليل عند الشّاعر نديم محمد؟ وما ارتباط الجليل بالحاجات الاجتماعيّة والاهتمامات العامّة؟ ما هي سمات الوجه البطوليّ في شعره؟ وكيف تبدّت علاقة الجليل بالسّامي والبطوليّ؟

بالوقوف على قصائد الشّاعر نجد ثلاثة نماذج من نماذج الجليل (الرّائع والسّامي والبطوليّ) وسيحاول البحث استقصاء ملامحها في سياقاتها.

الرّائع:

في الواقع إنّ الرّائع ينبثق من ذلك الشّعور العميق الذّي يرتبط بصفات العظمة للإنسان، الذّي يشكل ذاته المطلقة في معناها، ووجودها في العالم، وبذلك يكون الإنسان مصدر الرّائع بوصفه منبع كلّ قيمة ومنتهاها. "فالرّائع الحقيقي هو الحقيقة الكبرى التّي تتجاوز الامتحانات المتكررة، وتكون صعبة بل عصية في صمودها وذاكرة قوية وعزيزة على الطّمس." [13]

إنّ الرّائع في شعر نديم محمد ينهض من تمرده، وتعاليه على قبح الواقع، والشّعور الانهزاميّ في ظل عالم يعيش القمع السّياسي والاستلاب، فالرّائع الجليل من هذه الزّاوية يكمن في الثّورة والمقاومة من أجل رفض اليأس والقلق والخوف، والحرص على الوجود الإنسانيّ الحرّ الذّي يحمل في داخله مضموناً حضاريّاً وهو الإيمان بالحريّة، والعيش وسط عالم جميل. وبهذا فإنّ رؤية الشّاعر للثورة قد اشتقت من رؤيته للجمال، وتعلقه به، فالحرية والتّعالي يؤلفان ماهيّة الجمال، ويتحولان إلى سعيّ لتحقيق المثل الأعلى للرّائع (الجليل)، وهذا ما نراه في قصيدته "حرية العربيّ" التي يصف فيها الإرادة التّي تعد وجها من وجوه الحرية، وجانباً يتجسدّ فيه وعيّ الشّعب العربيّ في تحقيقه لذاته الجماعيّة. يقول:

شـــــــرفُ العروبـــــــةِ والجـــــــدودِ والعـــــــزُّ فـــــــي خفـــــــقِ البنـــــــودِ
فـــــــي جحفـــــــلٍ، بالنّـــــــار يعصـــــــفُ جانبـــــــــــاهُ... وبالحديـــــــــــــدِ
وبطولـــــــــةٌ عـــــــزّت علـــــــى... بـــــــأسِ الفـــــــوارسِ، والجنـــــــودِ
وقفـــــــــت لهـــــــا الـــــــدّنيا تحيّيهـــــــا بباقـــــــاتِ الـــــــورودِ
صـــــــورٌ بعينـــــــي مـــــــاثلاتُ الحشـــــــدِ... مـــــــن يـــــــومِ الوعيـــــــدِ
يـــــــوم اســـــــتحرّ الطّعـــــــنُ... وانتحـــــــرَ الوريـــــــــدُ... علـــــــى الوريـــــــدِ
وترنّحـــــــت قمـــــــمُ الجبـــــــالِ الشُّـــــــهب مـــــــن زأرِ الأســـــــودِ
ألحـــــــافظين عـــــــرينَ مصـــــــرَ ... الذّائـــــــدين عـــــــن الحـــــــدودِ
مـــــــن ســـــــابحٍ فـــــــي المـــــــاءِ مقـــــــتحمٍ بســـــــاعده الشّـــــــديدِ

[12] كليب، د. سعد: القيم الجماليّة في الشّعر الحديث 1950_1975، ص123.

[13] لونجينوس، كاسيوس: الرّائع بحث جماليّ في مقولة الرّوعة، ترجمة: د. عزت السيد أحمد، دار الفكر الفلسفي، دمشق، د. ط، 2008، ص41.

أو طـــــائرٍ فـــــي الجـــــوّ.. يقـــــنصُ كـــــــلّ شـــــــيطانٍ مريـــــــــدِ
أو مـــــــارقٍ فـــــــي البـــــــرّ... يهـــــــزأُ بـــــــالحواجزِ والسّـــــــدودِ
والنّـــــار مـــــن أشـــــداقِ أغـــــوالٍ ... تزمجـــــــــرُ، كـــــــــالرّعود[14]

إنّ مفردات مثل (العروبة، بطولة، الحشد، الوعيد، الأسود، مقتحم، ساعده، تزمجر) ذات أهميّة بليغة في تحديد ماهية الجليل، وجوهر الإنسان الذّي يمثل الحرية المطلقة بقدرته على الفعل وتحديد مصيره؛ أيّ الإباء والتّحدي والمقاومة ضدّ كلّ من شأنه أن يسلبه عظمة ذاته وحريته.

ويحيل الشّاعر في قصيدة أخرى إلى إرادة الحياة في الكائن الإنسانيّ، هذه الإرادة التّي تعدّ ملمحاً من ملامح الفعل الجليل الذي يعمّق إنسانيّة الإنسان، ويفتح أمامه الطّريق ليحافظ على وجوده، وهذا يكون من خلال تكثيف الحركة الثّورية في سعيها إلى المجد، وتمرّدها على ظلم الحكم السّياسيّ، إنّ هذه المواجهة تأخذ طابعاً حاسماً، بوصفها مواجهة للظلم والقهر، وتجاوزاً للضعف والاستسلام، فالشّاعر في هذه القصيدة يضع أمام الشّعب مثاله الذّي ينبغي أن يسعى إليه، ومن خلال هذا السّعي يمتلك وعيّه بذاته ومصيره.

حريّـــــــةٌ ظمئـــــــتْ.. ومـــــــن يســـــــقي إذا لـــــم يســـــقِ حُـــــرّ
قـــــم زلـــــزلِ الـــــدّنيا.. فمـــــا يُغنـــــي سِـــــواكَ، ولا يَضـــــرّ
ردَّ السّـــــــــبايا.. فالحسَـــــــــانُ البـــــــيضُ، يُـــــــرهقُهُنّ أسْـــــــرُ
قـــــمْ، حطّـــــمِ التّيجـــــانَ... لا يمنعـــــكَ إجـــــلالٌ، وقـــــدرُ
ســـــرفُ العـــــروشِ أذلّ أنـــــفَ الملـــــك... والإســـــرافُ كُفـــــرُ
لا يصـــــنعُ التّـــــاريخَ فـــــردٌ حكمُـــــهُ... رَغْـــــم، وَقَهْـــــرُ
ألشّـــــعب صـــــانعُه.. وحـــــبُّ الشّـــــعب... لا نهـــــيّ، وأمـــــرُ[15]

إنّ الفعل الرّائع (الثّورة) مرهون عند الشّاعر بالشّعب في صراعه ضد قوى الاستلاب القبيحة، وجحيم الحياة الذي تصنعه النّظم القائمة، ومن هنا لم تكن ثورته موقفا انفعالياً آنيّاً، وإنّما كانت نتيجة وعيّه بصورة الواقع القاتم، وما فيه من مهانة وقهر، فمن المعروف أنّ الشّاعر نديم محمد من الشّعراء الذين تغنوا بالحرية، وتمرّدوا على الظّلم والفساد، وما عمّق هذا الإحساس فقدانه لأخيه الذّي حصده الموت بمنجل السّياسة، وعلى يد أربابها الحاكمين الذّين كانوا يقبضون على حزمة الأمور في سنة1948، وهو يومئذ طالب، ينتظر النّتيجة لنيل إجازة الحقوق، هذا الموقف كافٍ لبيان سخط الشّاعر على قمع الكائن الإنسانيّ الذي يمتلك زمام التّغيير من خلال الفعل الثّوري، فيرفض الظّلم والذّل والقمع، ويؤسس عالماً قائماً على الحريّة و صحوة الضّمير، وتتجلى قيمة السامي أيضاً من خلال بنية لغويّة جاءت معبرة عن موقف الشّاعر الثّوري، وهذا ما نلاحظه بإكثار الشّاعر من صيغة الأمر، وذلك مثل (قم، حطم، زلزل) التي تعبر عن الإصرار لحث الشّعب، وتحفيزه نحو الفعل الثّوري الذّي يحقق إنسانيّة الإنسان، وكرامته في معركته ضد التّخلف الحضاريّ لتحقيق أرفع القيم، التّي تحقق تقدماً في كيان الإنسان العربيّ ووجدانه. يقول:

---

[14] نديم، محمد: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول (آفاق)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1996، ص394_395.
[15] المجلد الأول (آفاق)، ص357.

كبّـــــــوا خيانـــــــات الملـــــــوكِ إلـــــــى قـــــــراراتِ الجحـــــــيمِ
دوســـــوا علـــــى الـــــدّولار، شـــــاري النّـــــذل، والجـــــاني الأثـــــيمِ
حلـــــوا عقـــــالَ الـــــدّين، مـــــن غـــــرضِ المتـــــاجرِ واللّئـــــيمِ
وتشـــــــــبّهُوا... بالعاصـــــــــرينَ لخبـــــــزكُم لهـــــــبَ الجســـــــومِ
درب السّـــــــــيادة، غيـــــــــرُ دربِ العـــــــاكفينَ علـــــــى الرّســـــــوم! [16]

إنّ الثّورة عند الشّاعر نديم محمد هي نتاج التّطلع إلى الحريّة، بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الهوية الفرديّة والجماعيّة، هي رحلة مستمرة نحو تحقيق الذّات، ورفض العبوديّة والذّل؛ إذ إنّ هذه الثّورة ليست فقط ثورة سياسيّة ضد الطغاة والحكام السّياسيين الفاسدين، وإنّما ثورة تعيّ تماماً قيمة الإنسان، وقيمتها لا تتبدى إلا بالمقارنة بين الإنسان الحر والعبد؛ أيّ بين الواقع الاستلابيّ القائم على العبوديّة، والحريّة بوصفها قيمة جماليّة، فلا وجود لحديث عن ثورة بمعزل عن الحرية بمعنى آخر، إنّ الحرية هي غاية الفعل الثّوري الرّائع، الذّي يقضي على العبوديّة والخضوع. يقول:

ثـــــورةُ الشّـــــعب، هـــــذه تنســـــفُ البغـــــيّ وتجلـــــو مـــــن الزّمـــــانِ الهوانـــــا
حممـــــت غضـــــبةً، وتغلـــــي أعاصـــــيرَ جحـــــيمٍ.. فتشـــــعل الميـــــدانا
ألحفـــــاة العـــــراة شـــــبّوا لظاهـــــا واســـــتخفوا ببأســـــها الطغيانـــــا
أنـــــا أحيـــــا لهـــــا نعيمـــــاً وبؤســـــاً أنـــــا منهـــــا... لهـــــا... يـــــداً ولســـــاناً[17]

لقد اتكأ الشّاعر في تصويره مشاهد الثّورة على إثارة مشاعر الرّهبة والهول؛ إذ نشعر أنّنا أمام لوحة متكاملة لصور توحي بتفجرّ الثورة، وهذا طبيعي في زمن انتشرت فيه عبادة المال، وفسدت فيه الرّوح البشرية، مما يحتم علينا مقاومة الوحش الضّاري المحيط بنا، الذّي يهدد وجودنا بأسره، ويشعرنا بالغربة إحساساً عميقاً، فيجد الشّعب نفسه أمام الثّورة، التّي تعد فعل تدمير واستبقاء في الوقت نفسه، تدمير للقبح ، واستبقاء لمبادئ الحياة الجميلة، فالحياة لا تكون حياة حتّى يعطيها الإنسان معنى، وقيمة الحياة ليست إلّا المعنى الذي يختاره الإنسان الجماليّ الذّي يتعثر في عالم العقبات غير النّظيفة التّي تكوّمت وتشابكت، لتخيف الإنسان الجماليّ، وتهدد قيمه، يقول في قصيدته "جاءت الثّورة":

جـــــاء الشّـــــتاء بأجنـــــادٍ مروّعـــــةٍ مـــــن السّـــــحاب، رُبـــــى تَرقـــــى وتنحـــــدرُ
بـــــالبرق والرّعـــــد نيرانـــــاً مجلجلـــــةً بـــــالرّيح صـــــافرةً، بالمـــــاءِ ينهمـــــرُ
جـــــاءت عواصـــــفُه غَضـــــبى مزمجـــــرةً يغلـــــي ويزفِـــــرُ فـــــي أحنائهـــــا السّـــــعرُ
تطغـــــى أعاصـــــيرُه، تهمـــــي صـــــواعقُه فـــــالأرضُ زائغـــــةٌ، والجـــــوّ منفطـــــرُ
زخّ وزخـــــمٌ، وأصـــــداءٌ وزلزلـــــةٌ مـــــن فوقهـــــا كِسَـــــفٌ، مـــــن دونهـــــا حُفَـــــرُ
جـــــاء الشّـــــتاءُ فعـــــرّوا فيـــــه أعيـــــنكُم واســـــتيقنوه، ولا يخطـــــئ لكـــــم نظـــــرُ
إعجـــــازُ مـــــركبِكُم إســـــرافُ ملعـــــبِكُم إغـــــرابُ ملبســـــكُم، والتّيـــــهُ.. والسّـــــكرُ [18]

[16]محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثاني(عناكب)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1997، ص388.
[17] محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الخامس (صرخة ثائر)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998، ص274.
[18]ا محمد، نديم: الأعمال الشعرية الكاملة لمجلد الرابع (من حصاد الحرب)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1998، ص237.

تتعمق الإشارة إلى الفعل الرّائع (الجليل) في هذا النّص بجملة "جاء الشّتاء"، التّي تشير إلى أمر مهول عظيم سوف يصيب الأرض، فمعروف أنّ الشّتاء برعده وبرقه وعواصفه يثير الهول في النّفوس. وبهذا فإنّ هذا النّص جسّد ملامح الثّورة التّي تتوجه إلى هدم كلّ ما هو قبيح وتافه، وخلق عالم جميل.

وفي المعنى ذاته يطلق الشّاعر صرخة مقاومة بوجه الظّلم والاستبداد، يعبّر فيها عن غضبه على الغزاة، هي أشبه بثورة شعوريّة تتألم من رؤية أغلال العبوديّة والظّلم، فلا سبيل للقضاء على هذا القبح إلّا بالثّورة، فهي ضرورة وجود، وضرورة حياة وبدونها ينتفي الاثنان معاً، وبهذا نفهم أنّ في الثّورة وجلالها خلوداً للذّات الإنسانيّة وديمومتها وتعاليها. يقول:

يـــــا جـــــراح الصّـــــدور، هيجـــــي بـــــراكين وثـــــوري.. غوارب ـــــا جارفـــــاتِ
حطمـــــي.. دمّـــــري عروشـــــاً وأصـــــناماً وجـــــرّي.. بهـــــا إلـــــى الهاويـــــاتِ
واقلعـــــي، مـــــن جـــــذوره، صـــــرح هامـــــان وردّيـــــه مســـــرح الناعقـــــاتِ
غـــــوري مـــــاءهم، أحيلـــــي مغـــــانيهم قفـــــارا خواليـــــا. موحشـــــاتِ
أذهبـــــي ملكهـــــم دخانـــــا. ولا تبقـــــي ولـــــو رحمـــــة علـــــى الباقيـــــاتِ
رأرأ الفجـــــرُ، واســـــتراحت إلـــــى النّـــــورِ جبـــــاة، تعـــــيش فـــــي الحفـــــراتِ[19]

يمكن القول: إنّ صور الثّورة تتكرر في قصائد الشّاعر، وهي تتكرر بالمشاعر العاطفيّة نفسها، والعناصر الحسيّة التّي تحيل على التّمرد والعنفوان والرّوح الثّائرة؛ أيّ إنّ الشّاعر بهذه الصّور يحلم بالخلاص، والتّحرر على جناح الثّورة الوجه الجماليّ لموقف التّمرد، فقد بات واضحاً أنّ الفعل الثّوري يمثل تعبيراً عن الرّغبة في تجاوز الواقع المعيش، وما فيه من خداع وشر وقبح واستبداد سياسيّ، فواقع كهذا مليء بهذا القبح لا بدّ أن تهدمه الثّورة، لتعيد بناء عالم إنسانيّ يتغنّى بالقيم الأخلاقيّة.

وهكذا فإنّ الرّائع في شعر نديم محمد مرتبط بالثّورة التّي تحيل على موقف وجوديّ للشّاعر، فحواه الرّفض والتّمرد على الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ متمثلاً بالاستبداد والعذاب والعبودية، فنديم محمد نموذج الإنسان الجماليّ الطّامح إلى الحرية، المتمرد على واقعه، يبحث عما يقضي على أشكال القبح السّائدة، لذلك من البدهي أن يرى الشّاعر في الثّورة السّبيل الوحيد للخلاص الذّي تمتلك الذّات من خلاله وعيّها بذاتها، ومسؤوليتها تجاه الحياة.

السّامي:

إنّ الجلال هو العظمة التّي تثير أرواحنا فنشعر أمامها بقدراتنا المحدودة، ولا يمكن تحديد مفهوم السّامي إلا من خلال علاقته مع مفهوم الجليل، فعندما نتأمل موضوعاً جليلاً يثير فينا الرّهبة والدّهشة، نجد أنفسنا في حالة من السّمو والتّعالي، فالجليل لا يمكن فصله عن السّامي؛ لأنّ الشّعور بالجليل يرافقه شعور بالتّسامي؛ إذ يمتلكنا شعور بالعظمة المتزايدة، التّي تأخذ بمجامع العقل والحسّ وبهذا، يكون السّامي هو "ما يكشف عن وجود ملكة في النّفس تتجاوز كلّ مقياس للحواس." [20] مع ذلك فقد ذهب د. سعد الدين كليب إلى أنّ هناك فارقاً سيكولوجياً في الدّرجة لا في النّوع بين الجليل والسّامي "فتجربة السّامي تتحدد بالتّبجيل وحسب، من دون بروز مشاعر الرّهبة أو القلق، صحيح أنّ التّبجيل ينطوي على قدر من الرّهبة أو المهابة عينها، لكن ليس الأمر كذلك في تجربة الجليل التّي يصعب فيها التّغلب على

[19] **المجلد الرابع (من حصاد الحرب)، ص435.**

[20] **كانط، إيمانويل: نقد ملكة الحكم، ترجمة: د. غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص160.**

تلك المشاعر." [21] نخلص من هذا، إلى أنّ السّامي ينبثق من الإحساس بقيمة الموضوع وتبجيله؛ أيّ إنّه يتجاوز الإيحاءات العميقة بالرّهبة وصولاً إلى الإحساس بالعظمة والتّقدير، عظمة نحسّها بعقولنا وأرواحنا نتيجة غنى جماليّ عميق.

وما ينبغي ذكره أنّ هناك تعالقاً قيميّاً بين السّامي والجميل ينبثق من الشّعور الإيجابيّ، الذّي يمنحنا إيّاه تأمل كلا الموضوعين (السّامي والجميل)، فتأمّل الجميل يشعرنا بالفرح، وتأمل السّامي يشعرنا بعظمة الموضوع، ومع ذلك، ثمة فروق مهمة بين الاثنين "فالجميل يجتلب مباشرة شعوراً بتفتح الحياة، وهو بهذا قابل لأن يتحد بإثارات، وبخيال يلعب، أمّا الشّعور بالسّامي فهو لذّة لا تنبثق إلّا بطريق غير مباشر؛ لأنّها تنتج عن الشّعور بتوقف القوى الحيويّة إبان لحظة قصيرة يتلوها مباشرة انطلاق لهذه القوى أقوى وأكبر." [22]

وبهذا تكون المشاعر الصّادرة عن تأمّل الموضوع السّامي إيجابية توحي بالتّبجيل والعظمة، لذلك ليس من الصحيح القول: "إنّ السّامي لا يشتمل على لذة إيجابيّة بقدر ما يشتمل على الإعجاب والاحترام، ويستحق إذاً أن يُنعت بأنّه لذة سلبيّة"[23]؛ أيّ إنّنا لا يمكننا الحكم على لذّة قيمة ما بأنّها سلبية، إلّا إذا أثارت مشاعر خوف تهدد الحياة، أو دهشة قريبة من الفزع، أمّا الموضوع السّامي فيخلق فينا حالة من القوة نشعر بها أنّنا تجاوزنا الواقع الماديّ، ووسعنا قوانا العقليّة والرّوحية، سعيّاً إلى إدراك اللامتناهي بعظمته وتعاليه.

وقد أولى نديم محمد قيمة السّامي اهتماماً يتبدّى على صعيد الموقف الجماليّ، فمن المعروف أنّ نديم محمد من شعراء الكلاسيكيّة في سوريا الذّين تمردوا على المجتمع، وما فيه من استغلال وظلم، وثاروا على واقعهم المتخلف المريض، وفضحوا ما فيه من فساد يتناقض مع القيم الأخلاقيّة والسّمو الإنسانيّ؛ إذ إنّ صورة السّمو لا يمكن فصلها عن المثل القيميّ الأعلى للإنسان، ويعيد الشّاعر تشكيل شعوره العميق بما يسلب هذا الوجود قيمته ومعناه، فيحولّه إحساسه بتفاهة الواقع إلى ذات متعالية متمردة تؤسس سموها، وتشكل الذّات المثالية بقيمها، وفي هذا وعيّ للذّات وتحرر لها لتعبّر عن وجودها، وفاعليتها المطلقة في تأسيس القيم الجماليّة في العالم، فالسّامي عند الشّاعر هو ما يؤسس الإنسان الجماليّ الذّي ينزع إلى المثاليّة، ويجسدّ الحرية في واقع مليء بالذّل والمهانة. يقول:

لـــــــن أنحنـــــــي، مهمـــــا طغـــــى ظلـــــمٌ، ومهمـــــا فـــــاض مـــــالُ!!
لـــــــن أنحنـــــــي.. بـــــالظّلم والإحســـــان، جـــــوّي لا يطـــــالُ
طهـــــرتُ أثـــــوابي، وصـــــانتها مـــــن الـــــدّنس، الخِصـــــالُ[24]

إنّ نديم محمد يرفض صورة الإنسان المسحوق، ويرى أنّ وضع الإنسان مأساويّ في هذا العالم الذّي تختل فيه القيم، لذلك تبدّت نزعته إلى السّمو في السّعي إلى بلورة الإنسان الجماليّ، وصياغة صورة جماليّة قوامها الكبرياء، والرّفعة وحبّ المجد ما يعزز قيمة السّامي. يقول في قصيدة بعنوان "قصائد للوطن" يصوّر فيها اتحاد ذاته الفرديّة بالذّات المجتمعية، وأنّه متعاطف مع كلّ إنسان حرّ:

---

[21] كليب، د. سعد الدين: في النّقد الجماليّ شعراء وتجارب، دائرة الثقافة، الشارقة، ط1، 2020، ص19.

[22] إمانويل، كانت: نقد ملكة الحكم، ص.15

[23] المرجع نفسه، ص154.

[24] المجلد الرابع (من حصاد الحرب)، ص263_264.

أنـــــا روحُ عاطفـــــةٍ، تلـــــوبُ محبّـــــةً أنـــــا قلـــــبُ إنســـــانٍ، شـــــفوقٌ غـــــافرُ
أنـــا كـــلّ حـــيّ فـــي بـــلادي، كلّهـــا أنـــا أمّـــةٌ، ورســـالةٌ، أنـــا شـــاعرُ
بســـــلاح فطرتـــــه، يجاهـــــدُ مـــــؤمنٌ ومـــــن السّـــــلاحِ عواطـــــفٌ ومشـــــاعرُ
أنـــا كـــلّ حـــرّ، فـــي بـــلادي، كلّهـــا أنـــا ثـــورةٌ وعقيـــدةٌ.. أنـــا شـــاعرُ! [25]

إنّ قيمة السّامي في هذا النّص ذات خطاب ثقافيّ يتصدى لقضايا المجتمع الإنسانيّة، فمن الملاحظ أنّ الشاعر يعانق الحرية، ولذلك فإنّه لا يتنصل من المجتمع، بل يعززّ المثل العليا، ويعتنقها للخلاص من قاع الذّل، ولعلّ حضور المفردات مثل (عاطفة، محبة، شفوق، غافر، مؤمن، حر، ثورة، عقيدة) أسهمت في تعميق نزعة السّمو التّي يتمحور حولها النّص.

وفي هذا الإطار الفكريّ الوسيع، إطار الاستغراق في تحقيق كيان الإنسان، نرى نديم محمد بتطلّعه القيميّ الأسمى يهدف إلى رقي الإنسان والإنسانيّة معاً، وهو بهذا طامح إلى الوجود الإنسانيّ الكامل الذّي يعبّر فيه الإنسان عن كيانه بأسره، فالشّاعر بوصفه إنساناً يعيش في هذا الواقع لا يجد مخرجاً من أن يكون ملتزماً بهذا النّظام الإنسانيّ، الذّي يهدده الفساد.

هذه هي صفات النّزوع السّامي عند الشّاعر، إنّه يحاول أن يثبت وجوده من خلال السّلوك الأخلاقيّ الملتزم، فالقيم متضامنة ومتشابكة فيما بينها، وأيّ خلل في أيّ قيمة يؤثر على القيم الأخرى عند تشكيل المثل الإنسانيّ الأعلى، فعندما ينتشر الفساد والكذب والخداع، وغيرها من القيم السّلبية يفقد الجمال وجوده، لهذا يرى الشّاعر أنّ الإنسان يحمل في ذاته اللانهائيّة، التّي تقتضي الحفاظ على المثل الإنسانيّة العليا، بغية أن يحدد الإنسان مكانه في الوجود، ويغيّر بنية الواقع، ويسمو عليه.

البطوليّ:

إنّ مفهوم البطوليّ هو المفهوم الذّي يظهر في صورة الإنسان المثاليّ في قيمه ومبادئه الأخلاقيّة، التّي ترتبط بطبيعة الحياة الاجتماعيّة التّي يعيشها هذا الإنسان، وقد ساد هذا المفهوم في الشّعر الحديث، ولم تكن سيادته نتيجة رغبة بشعور تفوّق وانتصار ذاتيّ، أو تعبير عن القوة القتاليّة الحربيّة، بل اتسعّ ليعبّر عن استجابة للحياة الاجتماعيّة القائمة على التّناقضات والانكسارات المتعددة، وهذا يعني أنّ لمفهوم البطوليّ خطاباً اجتماعيّاً، هو خطاب ردّ فعل ضروريّ على قبح الواقع، القائم على السّلب والاستبداد وسلب الحريات، ويتحقق بهذا جلال البطل نتيجة امتلاكه قوة حقيقية، ومثلاً أخلاقيّة عليا في زمن تنعدم فيه الأخلاق. ففي النّهاية يعكس مفهوم البطوليّ وعيّ الذّات في علاقتها بالواقع من حولها، وصدامها معه لتغييره، فهو أشبه بفعل اجتماعيّ، وموقف من الوجود فحواه الرّفض من جهة، والثّورة للتغيير من جهة أخرى؛ أيّ إنّ البطوليّ "قيمة صداميّة من جهة، وقيمة مركبة من جهة أخرى، أمّا أنّها صداميّة فلأنّها لا تنشأ وتهيمن إلّا في المراحل، والمواقف التّاريخية المبنية على الصّراع الحاد، والمأزوم بين القوى المتناقضة، أمّا أنّها قيمة مركبة فلأنّها نتاج التّداخل والتّفاعل بين الجليل والجميل في الشّخصية القيّمة اجتماعيّاً." [26]

إنّ تفاعل الجميل والجليل في قيمة البطوليّ يأتي من تشكيل البطل في وعيه الإنسان الجماليّ الذّي يؤسس وجوده إزاء عوامل السّلب والقبح، بفاعليته واندفاعه وبحثه عن حريته وكرامته، ولا شكّ أنّ هذا الفعل البطوليّ ليس فعلا فردياً، بل

[25] **محمد، نديم: الأعمال الشّعرية الكاملة، المجلد الثالث (قصائد للوطن)، وزارة الإعلام، دمشق، ط1، 1997، ص17.**
[26] **كليب، د. سعد الدين: المدخل إلى التّجربة الجماليّة، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2011، ص126.**

فعلا جمعيّاً يحمل مضموناً حضاريّاً "وما ذلك إلّا لأنّ الشّاعر العربيّ يريد أن يتمثل في ذاته النّموذج الكامل للإنسان الجماليّ، والبطل الحضاريّ المعلّم والمربي. إنّه يلتزم بالقيمة التّي تعلو به ليلتزم بها غيره أيضاً." [27]

وبهذا يمكن القول: إنّ جلال البطل يتبدّى من خلال ارتباطه بالواقع، وعلاقته الرّوحية معه؛ إذ لا ينفصل عنه، بل يسعى إلى كماله. وإذا تساءلنا عن سمات الواقع الذّي يجابهه هذا البطل، فهو واقع سلبيّ لا يمكن التّعايش معه، لهذا لا بدّ من البطل الذّي يستطيع أن يحدث تغييراً إيجابيّاً في بنية المجتمع؛ لأنّه يحمل داخله قوة كامنة عظيمة تقرّ بقبح الواقع وتفاهته، وتحاول أن تجدد الحياة وترتقي بها، ليحسّ الإنسان بالفرح والحرية. والبطل في شعر نديم محمد يقوم بوظيفة جماليّة تنهض من قوته وشجاعته بمواجهة الواقع بقدر غير قليل من المعاناة، فها هو يبلور صورة البطل بوصفه مثلاً أعلى يُحتذى، فتكون بهذا قيمة البطوليّ هنا ذات صبغة أخلاقيّة تتعالق مع قيمة السامي*[28]. يقول:

أنـــــا لا ألـــــين لأحمـــــق متنمّـــــرٍ وألـــــينُ للضـــــعفاءِ والعقـــــلاءِ
أنـــــا لا أبـــــرّ بظـــــالمٍ، لكنّنـــــي أطـــــوي.. جنـــــاحَ الـــــذُّلّ.. للبؤســـــاءِ
أنـــــا عـــــزّةٌ، جمـــــرٌ لـــــذائقِ حرّهـــــا ولـــــدفءِ مقـــــرورٍ، وقـــــودُ صِـــــلَاءِ[29]

وقد اتخذت قيمة البطوليّ عند الشّاعر صبغة سياسيّة تنهض بوصف البطوليّ نموذجاً لإنقاذ الإنسان، وقهر العنصر المسيء، لهذا يدين الشّاعر صمت العرب، وعجزهم عن تحريك السّاكن بشأن القضية الفلسطينيّة، وهو يفعل ذلك بوصفه حراً؛ إذ يريد أن يحرّر العالم الخارجيّ من العبوديّة، وأن يحرك الذّات العربيّة لتقوم بالأعمال المجيدة، لينشأ التّصادم بين ذات الشّاعر المتطلعة إلى الحرية، والذّات العربيّة الحاكمة الخاضعة الذّليلة، وهو بهذا التّصادم يعانق الإنسانيّة، و المصير لا مصيره الشّخصي فحسب، بل مصير العرب أجمعين ، وهذا مصدر من مصادر الوظيفة الجماليّة للبطوليّ؛ إذّ ترتفع قضية الشّاعر إلى قضية كليّة يبلور فيها حلمه الثّوري في أثناء وجود النّماذج الغافية، التّي لا تعي وجودها، وفي هذا إدانة للإنسان العربيّ الذّي يرضى بالمهانة والذّل، لذلك لا بدّ من البطوليّ الذّي ينطلق من إعادة خلق العالم. يقول:

يتمـــــاحى ظِلُّنـــــا فـــــي جوعِنـــــا فـــــإذا نحـــــن، فِـــــرَاخٌ زُغُـــــبُ
ويلنـــــا مـــــن غـــــدنا، إنســـــانُه آلـــــة يعجـــــبُ منهـــــا العجـــــبُ!
كلّكُـــــم ســـــجدةُ عـــــافٍ ســـــائلٍ فـــــي ذراعيـــــه يمـــــوتُ الغضـــــبُ
لـــــو صـــــحوتم مـــــن غَـــــوى ســـــكرتكُم لانتخـــــى ســـــيفٌ، وصـــــالت كتـــــبُ
كلّكُـــــم.. فـــــي كبـــــوةٍ قاتلـــــةٍ كـــــذّبُوني.. جرّبـــــوا أن تثبُـــــوا!
ونعـــــمْ.. مشـــــرَعةٌ هامـــــاتكُم وإلـــــى الأرض، تحـــــنّ الرّكـــــبُ!
رقّ حتّـــــى شـــــفّ عـــــن أعمـــــاقكم حـــــرفُكُمُ، وانهتـــــكَ المحتجـــــبُ
هَزَلـــــتْ أحلامكُـــــم، فانجمعـــــتْ فـــــي مـــــرادٍ واحـــــدٍ: أن تعتِبُـــــوا!
ملّنـــــا صـــــبرُ الضـــــحايا.. فمتـــــى تصـــــرخ النّخـــــوة فـــــيكُم: جرّبـــــوا[30]

---

[27] الجهاد، د. هلال: جماليّات الشّعر العربيّ دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشّعري الجاهليّ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007 ص407_408.

[28] إنّ هناك تعالقاً بين السّمو والبطولية، ويعود هذا التّعالق إلى الاشتراك بمشاعر التّبجيل، مع بروز صفة الصّدام والقوة في البطوليّ. لمزيد من الاطلاع، ينظر: كليب، د. سعد الدين: في النّقد الجماليّ شعراء وتجارب، ص19.

[29] المجلد الرابع (من حصاد الحرب)، ص428

[30] المجلد الرابع(من حصاد الحرب)، ص292.

هذه القصيدة إعلان ثورة وتحدّ، وهي ثورة على كلّ سكون، إنّها تحدّ للحكام العرب؛ لأنّها تلغي السّكون والانتظار والعبوديّة، وتنادي بالحرية والكرامة، إنّها خطاب لا تخفى سخريته القاتمة التّي تبعث على الاستهزاء.

ويقول:

أنـــــا كبريـــــاء، أنـــــا.. وغيـــــري لا أكـــــــــــون.. فكـــــــــــذّبُوني
أنـــــا ملـــــكُ نفسِـــــي، وحـــــدَها وشـــــعارُها: لـــــن يملكُـــــوني
للشـــــمس مرغمـــــةً، ولـــــيس لهـــــامتي.. خفـــــضُ الجبـــــينِ
شـــــرفُ الهـــــلاكِ، ولا حيـــــاةُ الغَـــــدرِ.. فـــــأحيُوا، واقتلـــــوني
أغليـــــتُ إنســـــاني... ولـــــو أرخصـــــتُه.. لتعبّـــــدوني
لـــــي عفّتـــــي، أغنـــــى بهـــــا.. عـــــن فضـــــلِهم، فليحرِمُـــــوني
أنـــــا خطـــــوةُ الإهـــــداءِ نحـــــو النّـــــور.. مهمـــــا يُنكرونـــــي[31]

إنّ نقطة التّحول الجوهريّة عند الشّاعر للخروج من دائرة القمع السّلطويّة إلى النّور (أنا كبرياء)، (أنا ملك نفسي)، (لن يملكوني)، (أغليت إنسانيّ) تكمن في القيم الإنسانيّة التّي يجسدّها البطل الثّوري في مواجهة عملية انهدام الذّات لإنجاز عالم مثاليّ. وهكذا نصل إلى أنّ البطوليّ عند الشّاعر ذو طبيعة اجتماعيّة_ سياسيّة، فمردّ المشكلة اجتماعيّ، وهو وعيّ مرتبط على نحو وثيق بتجاوز حالة التّخلف الاجتماعيّ، ومرتبط أيضاً بالقضية الفلسطينيّة. إضافة إلى أنّ ما شكلّ هذه القيمة وعيّ الشّاعر التّناقض بين الوعي الواقعيّ القائم على الاستلاب والحقد، والواقع المأمول القائم على الحرية والمجد.

بهذا نرى أنّ الثّورة عند الشّاعر ليست فعلاً يتطبّع بطابع العنف، وتصفية الخصم، إنّها فعل جليل وعظيم له أهدافه وغاياته، التّي تنهض من وعي الواقع، ووعي الشّأن الإنسانيّ، بهذا يتحدد معنى التّغيير القيميّ لفعل الثّورة؛ إذ بدأ يتشكل أنّ الثّورة من أفعال البطل تحديداً الذي لا يفعلها لغاية ذاتيّة ترتبط به شخصيّاً، بل لأنّه يعيّ تماماً الحاجة الاجتماعيّة الملّحة لها لنشر الجمال الذّي لا يكون من دون الحرية، واتحاد الذّات الفردية بالذّات المجتمعيّة لتتشكل حركة تقضي على مظاهر القبح والتّفاهة.

خاتمة:

هكذا تجلى الجليل في شعر نديم محمد من الإيمان بالثّورة بوصفها مثلاً أعلى اجتماعيّاً، وجماليّاً يقضي على القبح، وينتج الجمال؛ إذ صوّر الثّورة على أنّها فعل للتغيير الاجتماعيّ، والدّفاع عن القيم من منطلق وعيّ الحاجة الاجتماعيّة الملحة لنشر الجمال.

وبهذا، تكمن قيمة الجليل في تعرية هذا الواقع، وفضح ما فيه ليكون بهذا الموقف شاعراً يحمل رؤية نقديّة تسعى إلى التّغيير فثمة، إذاً، تجربة شعريّة تحمل فكراً جماليّاً امبنياً على التّمرد والرّفض، هو أشبه بالاغتراب الثّقافيّ، وبهذا فإنّ نماذج الجليل تحيل على الموقف الاجتماعيّ للشّاعر، وهو موقفٌ رافضٌ لما هو سائد، يتضمن عملية تقويم جماليّ للواقع.

[31] **المجلد الرابع(من حصاد الحرب)، ص259.**

Reference

[1] E, Nox. The Aesthetic Theories of Kant, Hegel, and Shopenhawer ،Translated and introduced by Mohammed Shafiq Shia, in Arabic ،Beirut،1st edition, 1985.

[2] F. Al-Mar'i, Beauty and Majesty: A Study in Aesthetic Categories, Dar Talas, in Arabic, Damascus, 1st edition, 1991

[3] G. Santayana "The Sense of Beauty" Outline of a Theory of Aesthetics, Translated by: Muhammad Mustafa Badawi, National Center for Translation, in Arabic, Cairo, Dr. I, 2011

[4] I. Kant, Critiqe of the Faculty of Judgment, translated by: Dr. Ghanem Hana, Arab Organization for Translation, in Arabic, Beirut, 1st edition, 2005

[5] J. Al_ Jihad, Aesthetics, Damascus Center of Arab Unity Studies, in Arabic, Beirut ، 1st edition, 2007

[6] J. Stolintz, Artistic Criticism "A Critical Aesthetic Study", Translated by: Fouad Zakaria, Dar Al-Wafa Donia, in Arabic, Alexandria, 1st edition, 2007

[7] K. Longinus, The SublimecAn Aesthetic Study on the Concept of Sublimity, Translated by: Ahmed Ezzat Al-Sayed Ahmad, Dar Al_ Fikr Al Falsafi, in Arabic ، Damascus, 1st edition., 1996.

[8]M. Saeed Tawfiq. The Metaphiscs of Art according to shopnhawer, Dar Al Tanweer, in Arabic, Beirut, 2nd edition ،1983

[9] N. Blooz, The Sience of Beauty, Damascus University, in Arabic, 2nd Edition ،1983.

[10] N. Muhammad, Complete Poetic Works.

Volume one, Ministry of Information, in Arabic، Damascus، 1st edition, 1996.